

الأمثال في القرآن الكريم

(266) وكبر الجسم وقوة المقاومة قبال النوازل، لتأثر وتصدّع من خشية الله ، فإذا كان هذا حال الجبل، فالإنسان أحقّ بأن يخشع لله إذا تلا آياته. فما أقسى قلوب هؤلاء الكفّار وأغلظ طباعهم حيث لا يتأثرون بسماع القرآن واستماعه وتلاوته. ثانيهما: أن كلّ من له حظّ في الوجود فله حظ من العلم والشعور، ومن جملة الجبال فلها نوع من الإدراك والشعور، كما قال سبحانه: (وَإِنَّ مِنْ الْجِبَارَةِ لِمَاءَ يُتَدَفَّجُ مِنْهُ الْآبَهِارُ وَإِنَّ مِنْهُمْ لِمَاءَ يَنْشَقُّ الْقُرْبُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهُمْ لِمَاءَ يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ). (1) فعلى هذا، فمعنى الآية أن هذا القرآن لو نزل على جبل لتلاشى وتصدّع من خشية الله ، غير أنّه لم ينزل عليه. وعلى كلا المعنيين، فليست الآية من قبيل التمثيل أي تشبيه شيء بشيء، بل من قبيل وصف القرآن و بيان عظّمته بما يحتوي من الحقائق والآلهة، وإنّها على الوصف التالي: "لو أنزلناه على جبل لصار كذا و كذا". نعم يمكن أن يعد لازم معنى الآية من قبيل التشبيه، وهو أنّه سبحانه يشبّه قلوب الكفّار والعصاة الذين لا يتأثرون بالقرآن بالجبل والحجارة، وأنّ قلوبهم كالحجارة لو لم تكن أكثر صلابة، بشهادة أنّ الحجارة يتفجر منها الآبهار أو تهبط من خشية الله ، فلاجل ذلك جعلنا الآية من قبيل التمثيل وإن كان بلحاظ المعنى الالتزامي لها.

_____ 1 - البقرة: 74.